أَثَرُ الأَحْكَامِ الذَّوْقِيَّةِ في بِنَاءِ الأَحْكَامِ النَّحْوِيَّةِ
القرآنُ الكَريمُ أنموذجاً

إعداد الطالب [1] عبد الله أحمد الحسين
إشراف الأستاذ الدكتور[2] محمد موعد

ملخَّصُ البَحْثِ

تُعَدُّ دراسة الأحكام الذوقية دراسة حديثة من حيث المبدأ إلَّا أنَّ الدِّراسات البلاغيَّة والنقديَّة التي اهتمَّت بالأشكال البلاغيَّة ومفاهيمها كثيرة، وتعمد هذه الدراسة إلى إضاءة جانب لم يدرس بعد، وهو أثر الأحكام الذوقية في تعليل الأحكام النحوية وبنائها ؛ إذ يبدو الموضوع شائكاً، وعر المسالك، وينبغي على من يأخذه من كلِّ جوانبه أن يأخذه بحذرٍ شديدٍ وفكرٍ واعٍ متيقظٍ حذِراً من إطلاق الأحكام دونما أساس؛ ويسعى هذا البحث إلى أن يقف على عددٍ من تلك النماذج وكيفية توظيفها، ومدى الانتفاع بها في دراسة قضايا الخلاف النحوي، ولاسيما إذا ما عرفنا أن دراستهم لهذه الأحكام الذوقية لا تتعدَّى إشارات وومضاتٍ سريعةٍ في كتب اللغة، والتَّفسير البيانيّ للقرآن الكريم، أو بعض الفصول في الكتب، وهذه الإشارات، والفصول انتقائيَّةٌ، وسريعةٌ، وتخلو من البلاغة الذوقيَّة التحليليَّة.

(1) طالب دكتوراه ، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة دمشق.

(2) مدرس النحو والصرف، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة دمشق.

فالموضوع لم يدرس من قبل دراسةً مستقلَّةً وإن كنا نلمس هذا الأثر في مؤلفات علماء العربية وهم يفسِّرون القرآن الكريم تفسيراً يعرضون فيه روائع النَّظْم القرآني، فينبِّهون على مواطن الإيجاز والقصر والتوكيد، وعلى الفصل والوصل بين الجمل، والمعاني المترتِّبة على ذلك، ويبيِّنون أسرار التقديم والتأخير والذكر والحذف والتحليل والموازنة بين الآيات القرآنيَّة الكريمة.

الكلمات المفتاحية: الذوق، الأحكام، النحو ، القرآن .

The Impact of Taste Rules on Forming Syntactical Rules The Holy Qur'an as a Model

Prepared by student: Abdullah Ahmad Al-Hussein

Supervised by Prof. Dr.: Muhammad Maw'id

Abstract

The research of taste rules is a recent study in principle. However, the rhetorical and critical studies that are concerned with rhetorical forms and their concepts are many. This research aims to shed light on an aspect that has not yet been studied, which is the impact of taste rules on explaining and forming syntactical rulings. The subject seems thorny and complicated, and whoever explores it in all its aspects should do so with great caution and a conscious, alert mind, wary of making baseless judgments. This research seeks to identify a number of these models and how to employ them, and the extent of using them to study issues of syntactical controversy, especially that the studies of these taste rules are mere hints and short descriptions in language books, the rhetoric interpretation of the Holy Qur'an, or some chapters in books. These hints and chapters are selective, short, and devoid of analytical taste rhetoric. The topic has not been studied independently before; although this impact can be seen in the writings of Arab scholars as

they interpret the Holy Qur'an and show the greatness of the Qur'anic composition. They highlight the examples of brevity, conciseness and emphasis, and the separation and connection of sentences, and the meanings resulting from that. The study also explains the secrets behind bringing forward and backward, stating, deletion, analysis and balance between the Holy Qur'an verses.

Key words: taste, rules, syntax, the Holy Qur'an.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى معرفة الأسس والمعايير الذوقية التي انطلق منها علماء العربية قديماً وحديثاً بجميع أشكالها سواء الجماعية منها أم الفردية، ويسعى إلى الوقوف على أهم أسس ومنطلقات هذه الدعوات منذ القديم حتى يوم الناس هذا، وإلقاء الضوء على أهم هذه الأحكام قديماً وحديثاً لمعرفة ما هي المنطلقات والأسس النظرية والتطبيقية التي ذكرتها، وما مواطن هذه الأحكام الذوقية التي ارتأتها في النحو العربي، وهو في الوقت نفسه يهدف إلى التعرف على تلك الجهود التي سعت إلى تبيان هذه الأحكام التي سلكها القدماء والمحدثون في تدريس النحو، والتعرف على أحكام ومعايير ومواطن هذه الأحكام الذوقية من خلال تقديم صورة واضحة لهذه الأحكام في المؤلفات النحوية على مر العصور، ولاسيما المرحلة الأخيرة من هذا القرن التي شهدت تطوراً ملحوظاً في إطلاق مثل هذه الأحكام.

أهمية البحث: تنبع أهمية البحث من مجموعة نقاط أهمها:

1- إلقاء الضوء على الأحكام الذوقية على مر العصور، ووضع مفهوم محدد لها، ومعرفة ضوابطها، وتبيان أهم مصادرها، وما الأسس التي تستند إليها، وتطورها عبر التاريخ من خلال دراستها دراسة استقرائية تحليلية.

2- إدراك موقف القدماء من هذه الأحكام الذوقية، ومعرفة المؤلفات النحوية القديمة والحديثة التي وضعت لهذه الغاية، وتبيان الأسس التي سارت عليها خلال وضع الأسس والضوابط الناظمة لها ،

ومعرفة أصولها، ومجالات تطبيقها، وما الأشياء التي استقاها واضعو هذه الأحكام من التراث، وما هي الإضافات الجديدة التي جاؤوا بها.

3- الوقوف على أهم الصعوبات التي اعترضت سبيل هذه الأحكام قديماً وحديثاً، وإعطاء صورة واضحة لهذه الأحكام الذوقية ، والتعرف على أهم المعايير التي سلكها مدرسو النحو وواضعو الكتب من أجل تبيان هذه الأحكام و، وبيان مدى ملاءمة هذه الأسس والمؤلفات للطلبة، ورسم صورة صادقة لما اعتراها من سلبيات.

صعوبات البحث:

1- تناثر هذه الأحكام الذوقية كثرة المؤلفات منذ القديم حتى يوم الناس هذا، وتنوع الجهات التي تصدرها، وتباين نظرة العلماء والدارسين في تناول أسس هذه الأحكام الأمر الذي يجعل الإحاطة بهذا الموضوع صعبة أو عسيرة نوعاً ما.

2- قلة وندرة المراجع التي تتناول موضوع الأحكام الذوقية قديماً وحديثاً، فغالباً ما كان الكتَّاب يعرضون العنصر عرضاً مختصراً موجزاً لا يقدم توضيحاً للموضوع، ولا يفيد الدارس في رسم مفهوم محدد المعالم واضح المفهوم.

3- عرف النحو العربي خلال مسيرته أشكالاً كثيرة من الأحكام الذوقية حسب الجهات التي وضعتها، ولم تكن هذه المناهج والطرائق واحدة بين الواضعين، بل نجد هذه المناهج مختلفة حتى في الدولة الواحدة أيضاً.

4- عدم وجود أي دراسة تتناول الأحكام الذوقية بصفتها مستقلة، إذ غالبا ما تتناول الأحكام الذوقية تدريس النحو ضمن موضوعات النحو العربي وتفسير القرآن وإعرابه اللذين يدرسان بصفة مستفيضة على حساب دراسة الأحكام الذوقية.

مقدمة:

يبقى القرآن الكريم المعين الذي يستقي منه العرب أساليبهم كونه المصدر الرَّئيس للغة العربيَّة على مرِّ الأزمان، ولذلك كان للغة العربيَّة شرفٌ كبيرٌ، حازته من كونها لغة القرآن الكريم الذي لا يزال الباحثون يجدُّون، ويبذلون قصارى جهدهم في معرفة تفسير آياته، وأسرار لغته، وبيان أحكامه، وإعراب ألفاظه، وبيان عظيم بيانه، وتذوُّق بديع نظمه وبلاغته، ومن هذا المنطلق يوجِّه اللغويون أقلامهم تجاه هذا الكتاب العزيز، يفسِّرونه ويقعِّدون من خلاله القواعد، ويرسون الأسس على المستويات اللغويَّة (الصّوتيَّة، والصّرفيَّة، والتركيبيَّة، والدلاليَّة)، ومهما حاول الباحث جاهداً الكشف عن جوانب جديدة من الإعجاز اللغويّ والبلاغيّ للقرآن الكريم في نصٍّ قرآنيٍّ ما فلن يفي هذا النص حقَّه من البحث والدِّراسة؛ لأنَّه النَّص الذي تعهَّد الله-سبحانه تعالى- بحفظه إلى يوم الدِّين.

وتعدد وجهات النظر لدى العلماء التي كانت مختلفة متشعبة تعود إلى جملة من الأسباب ، منها : طبيعة اللغة ، واختلاف اللهجات، والمنهج المتبع، والمقدرة اللغوية لدى كل عالم، والخلافات المذهبية، والعصبية القبلية، والتنافس بين العلماء، وبعضها عائد إلى الأحكام

الذوقية التي كانت تصدر عن كل باحث ، وهذا الأمر دفعني إلى اختيار هذا الموضوع، إضافةً إلى ما راعني من تناثره بمباحث علوم النحو و البلاغة في تفاسير القرآن وكتب النحو العربي، وكذلك فيما اطَّلعت عليه من الدِّراسات الحديثة التي تناولت التَّفسير واللغة والنّحو والصَّرف والبلاغة، إذ إنَّ هذا الجانب لم يولَ العناية الخاصَّة من الباحثين والدَّارسين، فهم لم يفردوا له دراسةً مستقلَّةً قائمةً بذاتها، ما خلا تلك الدراسة التي قامت بها مشكورة فاطمة ناظم العتابي بعنوان ((الأحكام الذوقية عند الفراء– عرض وتحليل))؛ وهي دراسة تعود جذورها الأولى إلى أحمد مكي الأنصاري في كتابه أبي زكريا الفراء الذي عدَّ هذه الأحكام الذوقية مما تفرد به الفراء عن غيره.

فكلُّ الدراسات السابقة لا تتعدَّى إشارات وومضاتٍ سريعةٍ في كتب اللغة، والتَّفسير البيانيّ للقرآن الكريم، أو بعض الفصول في الكتب، وهذه الإشارات، والفصول انتقائيَّةٌ، وسريعةٌ، وتخلو من البلاغة الذوقيَّة التحليليَّة. فالموضوع لم يدرس من قبل دراسةً مستقلَّةً، واقتصرت في دراستي على نماذج مختارة علَّها تكون نواة لدراسات مستفيضة في قابل الأيام، ومن هنا أخذ البحث يتتبَّع آيات القرآن الكريم، ودراستها دراسةً موضوعيَّةً بلاغيَّةً ذوقيَّةً تحليليةً ، دراسة تجمع المتناثر من تفسيرها البيانيّ من كتب التَّفسير البيانيّ المتنوِّعة، وتحاول الكشف عن أسرار هذه الأحكام الذوقية في التّعبير القرآنيّ الكريم، وتبيِّن الأسرار البلاغيَّة الدّقيقة التي تنبثق من وراء نسق الآيات القرآنيَّة الكريمة، وترتيبها.

وتبين أثناء دراسة هذه المواضع أنَّ هناك أثراً ذوقياً بيِّناً في جُلِّ

كتب التفسير والنحو العربي ، وليس الصّورة المؤثِّرة من تشبيه وتمثيل واستعارة وكناية ومجاز مرسل فحسب، وعلى بلاغته الذوقيَّة التحليليَّة، فتبيَّن لي قَدْرَ هذا الموضوع من خلال التعمُّق في دراسة الأساليب الذوقية التي انطوى عليها التفسير، واستنتج البحث أهميَّة هذا الموضوع من علاقته بتفسير القرآن العظيم، ومن حيث إنَّه يتناول موضوعاً من موضوعات النحو العربي لبيان أهميَّة دراسة التراث العربي الإسلامي من جوانبه المختلفة لإخراج ما خفي منه إلى النور؛ لينتفع به الناس، وهو أثر الأحكام الذوقية في بناء الأحكام النحوية ؛ إذ تُعَدُّ دراسة الأحكام الذوقية دراسة حديثة من حيث المبدأ إلَّا أنَّ الدِّراسات البلاغيَّة والنقديَّة التي اهتمَّت بالأشكال البلاغيَّة ومفاهيمها الكثيرة، وتعمد هذه الدراسة إلى إضاءة جانب لم يدرس بعد، وهو أثر الأحكام الذوقية في تعليل الأحكام النحوية وبنائها ؛ إذ يبدو الموضوع شائكاً، وعر المسالك، وينبغي على من يأخذه من كلِّ جوانبه أن يأخذه بحذرٍ شديدٍ وفكرٍ واعٍ متيقظٍ حذِراً من إطلاق الأحكام دونما أساس؛ وذلك لتحديد مجالات ومعايير هذه الأحكام النابعة في الأعم الأغلب من أسس نفسية لا عقلية ، ويقف على عددٍ من النماذج وكيفية توظيفها، ومدى الانتفاع بها في دراسة قضايا الخلاف النحوي، إذ نلمس هذا الأثر في مؤلفات علماء العربية وهم يفسِّرون القرآن الكريم تفسيراً يعرضون فيه روائع النَّظْم القرآني، فينبِّهون على مواطن الإيجاز والقصر والتوكيد، وعلى الفصل والوصل بين الجمل، والمعاني المترتِّبة على ذلك، ويبيِّنون أسرار التقديم والتأخير والذكر والحذف والتحليل والموازنة بين الآيات القرآنيَّة الكريمة، ويشيرون إلى أغراض الجملة

الاسميَّة والفعليَّة، ويبرزون دقَّة التعبير القرآنيّ الكريم في اختيار المفردات وترتيبها.

نماذج من الأحكام الذوقية:

1-التقدير والتأويل:

يضفي التقدير والتأويل وجوهاً مختلفة من المعاني ؛ إذ تتبع الآيات السابقة وما تحمله من مضامين نزعت بالآية إلى منازع مختلفة من الدلالة، وهذه الوجوه ليس لها رابط لفظي تؤول إليه، وإنَّما سبيلها لطائف مستقاها العقل، وفوائد يحصلها النَّظر، والعلماء العرب مكَّنوا لكلِّ وجه بحسن استيعابهم للقرآن، وما تحته من مضامين هيَّأت للإيحاء بهذه المعاني. وهذا جليٌّ في تآليفهم لجميع الآيات لكنَّه أشدُّ جلاءً في الآيات التي ترد بألفاظ واحدة وبيان متفق ثُمَّ تجدهم يفسِّرنها تفسيراً متبايناً حسب مقدرة كل واحد منهم، فمن ذلك جواز اقتران الخبر بالفاء، إذا دخلت على المبتدأ(أل) الموصولة، كما في تفسير قوله تبارك وتعالى: "﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا﴾ (1).قال الزجاج في معاني القرآن: " وقرأ عيسى بن عمر: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا﴾، وكذلك﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا﴾، وهذه القراءة وإن كان القارئ بها مُقَدَّماً **لا أحبُّ** أن يقرأ بها؛ لأن الجماعة أولى بالاتباع".(2)

(1) المائدة، 38.

(2) ج2،ص 172.

وقد اختلف النّحويّون في الرّفع في قوله: " وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ "على وجوه: الأوّل: وهو قول سيبويه، والأخفش أنَّ قوله" **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ** " مرفوعان بالابتداء، والخبر محذوف، والتّقدير: فيما يتلى عليكم السّارق والسّارقة أي حكمهما كذا"[1]، فالاختيار عند سيبويه النّصب في هذا قال: لأنَّ قول القائل زيداً فاضربه، أحسن من قولك: زيد فاضربه، وأيضاً لا يجوز أن يكون (فاقطعوا) خبر المبتدأ؛ لأنَّ خبر المبتدأ لا يدخل عليه الفاء ، فسيبويه يقول بالرفع ويعدُّه وجهاً جارياً على أساليب العربيَّة، بدليل أنَّه أورد شواهده على ذلك[2]، ولكنَّه كان يرى النَّصب في القياس أقوى، إذ قال: "وقد قرأ أُناسٌ "وَالسَّارِقَ وَالسَّارِقَةَ"، و"الزَّانِيَةَ وَالزَّانِي" وهو في العربيَّة على ما ذكرت لك من القوَّة. ولكن أبت العامة إلَّا القراءة بالرَّفع"[3]. وقد أُخِذَ على سيبويه اختياره لقراءة النصب وردَّ عليه: "وأمَّا القول الذي ذهب إليه سيبويه فليس بشيء، ويدلُّ عليه وجوه:

الأوَّل: أنَّه طعن في القرآن المنقول بالتواتر عن الرسول ﷺوعن جميع الأمة، وذلك باطل قطعاً، فإن قال: لا أقول إنَّ القراءة بالرفع غير جائزة، ولكني أقول: القراءة بالنصب أولى، فنقول: وهذا أيضاً رديء؛ لأنَّ ترجيح القراءة التي لم يقرأ بها إلَّا عيسى بن عمر على قراءة الرسولﷺوجميع الأمة في عهد الصحابة والتابعين أمر منكر، وكلام

(1) التَّفسير الكبير، م4، ج11، ص351.
(2) الكتاب،ج1، ص143.
(3) الكتاب، ج1، ص144.

مردود.

والثاني: أنَّ القراءة بالنصب لو كانت أولى لوجب أن يكون في القرَّاء من قرأ: ﴿وَاللَّذَانَ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ تَوَّاباً رَّحِيماً ﴾[1] بالنصب، ولما لم يوجد في القرَّاء أحد قرأ كذلك علمنا سقوط هذا القول"[2]. بينما يرى الفرَّاء[3] أنَّ الرفع أولى من النصب؛ لأنَّ الألف واللام في قوله:" والسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ" يقومان مقام (من) فصار التقدير: من سرق فاقطعوا يده، ولذا حسن إدخال الفاء على الخبر[4]، أو بعبارة أخرى الفرَّاء يجيز دخول الفاء على الخبر إذا اتصل بالمبتدأ ألف ولام ضُمِّنا معنى الجزاء، ويرى أنَّ الخبر مذكور في الكلام، وهي جملة (فاقْطَعُوا أَيْدِيهِمَا) ولا يعدُّه مقدَّراً، فهو بهذا على خلاف سيبويه.

ورجّح الرازي رأي الفرَّاء، ونقد سيبويه تخريجه لقراءة الرفع على تقدير حذف الخبر في الآية القرآنيَّة الكريمة: ويعنينا من هذا النقد جانبه النحوي الذوقي ؛ وذلك أنَّه قال: "أنا إذا قلنا: (والسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ) مبتدأ وخبره هو الذي نضمره، وهو قولنا: (فِيمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ)، فحينئذٍ قد تمت هذه الجملة بمبتدئها وخبرها: فبأي شيء تتعلَّق الفاء في قوله: "فاقْطَعُوا أَيْدِيهِمَا"، فإن قال: الفاء تتعلَّق بالفعل الذي دلَّ عليه قوله: "والسَّارِقُ

(1) النِّساء، 16.

(2) التَّفسير الكبير، م4، ج11، ص352.

(3) التَّفسير الكبير، م4، ج11، ص351.

(4) ينظر: معاني القرآن، ج1، ص306، وإعراب القرآن، النحَّاس، ج2، ص19.

وَالسَّارِقَةُ" يعني لأنَّه: إذا أتى بالسرقة فاقطعوا يديه نقول: إذا احتمت في آخر الأمر إلى أن نقول: "والسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ"؛ تقديره: من سرق، فاذكر هذا أوَّلاً حتَّى لا تحتاج إلى الإضمار الذي ذكرته"[1]، ولم يسلم الرازي من النقد على رأيه في تعرضه لرأي سيبويه إذ ردَّ عليه أبو حيَّان الأندلسي في تفسيره ردَّاً قاسياً، واتهمه بأنَّه قد أساء فهم كلام بعض أهل العلم قائلاً: "وقد تجاسر أبو عبد الله محمد بن عمر المدعو؛ بالفخر الرازي، ابن خطيب الري على سيبويه وقال عنه ما لم يقله"[2]، ثُمَّ تعرَّض لمآخذ الرازي على سيبويه بالنقض .

ويلمح أنَّ أبا حيَّان اتّهم الرازي بأنَّه قد قال عن سيبويه ما لم يقله؛ وذلك لأنَّه قال: إنَّ سيبويه اختار النّصب على الرّفع في هذه الآية، والذي يبدو من مقارنة ما ذكره الرازي بنصِّ الكتاب: أنَّ الرازي فهم نص الكتاب جيّداً، وهو ما فهمه غير واحد من النّحاة المشهورين مثل أبي جعفر النحَّاس[3]، إذ عرض للقراءتين، وبيَّن أنَّ الخبر مقدَّر عند سيبويه في القراءة التي بالرّفع، وأنّه اختار قراءة النّصب. وأرى أنَّ اعتراض الرازي على سيبويه إمام النّحاة فساد ، فما ذهب إليه من أنَّ كلمة "السَّارِقُ" تؤول في الآية القرآنيَّة الكريمة على أنَّها مبتدأ وخبرها محذوف حتّى لا تدخل الفاء على الخبر؛ لأنَّ ذلك ممتنع عند سيبويه اعتراض فيه قدر من الصحّة وليس الأمر كما ذهب إليه أبو حيّان لجواز زيادة

(1) التَّفسير الكبير، م4، ج11، ص352.

(2) البحر المحيط، ج3، ص476، وينظر سيبويه والقراءات، ص114.

(3) إعراب القرآن الكريم، النحَّاس، ج1، ص495-496.

الفاء في قوله تبارك وتعالى: "فَاقْطَعُوا"، وجعل الجملة خبراً لقوله تبارك وتعالى: "والسارق". أمَّا موقفه من سيبويه عندما اختار قراءة النّصب على قراءة الرّفع ففيه وجه نظر؛ وذلك لأنَّ سيبويه لم يذكر قراءة الرّفع، إنَّما عندما اصدمت بقاعدته النحويَّة التي وضعها تأوَّلها، ولو أنَّه أنكرها لما وجد لها هذا الوجه من التأويل ولنعتها بالقبح، أو الضعف، وأنَّه يختار النّصب إذا كان الاسم مبنياً على الفعل، وقد نوَّه إلى ذلك بقوله: "والأمرُ والنهيُ يُختار فيها النّصبُ في الاسم الذي يُبْنَى عليه الفعلُ، ويُبْنَى على الفعل،... وقد يَحْسُنُ ويستقيم أن تقول: عبد الله فاضْرِبْهُ وإن شئت لم تُظْهِرْ (هذا)، ويعمل كعمله إذا أظهرته، وذلك قولك: الهلالُ- واللهِ – فانْظرْ إليه، كأنَّك قلت: هذا الهلالُ، ثُمّ جئتَ بالأمر"[1]. فضلاً عن أنَّ سيبويه لم يمنع قراءة الرّفع إنَّما اختار قراءة النّصب مجرد اختيار، وهذا لا يؤاخذ عليه، وهكذا كان الرازي متحاملاً على سيبويه عندما رجَّح قراءة عيسى بن عمر على قراءة العامة؛ وذلك لأن عيسى بن عمر لم يبتكر هذه القراءة من عنده، وإنِّما هي قراءة من القراءات المرويَّة عن رسول اللهﷺوأصحابه من بعده؛ وذلك لأنَّ القراءة سنَّة متبعة، ولم يثبت أنَّ قراءة النّصب التي قرأ بها عيسى بن عمر من القراءات المبتكرة كما يفهم من كلام الرازي، وبهذا يظهر لنا أنَّ في كلام أبي حيَّان تحاملاً واضحًا على الرازي، ولم يعدم الرازي من ينتصر له في عصرنا هذا، إذ دافع عنه أحد الباحثين المُحدثين قائلاً: "ويبدو أنَّ شيئاً ما كان بين هؤلاءِ المفسِّرين، فأنت ترى أبا حيَّان يتحامل على

(1) الكتاب، ج1، ص137-138.

الفخر الرازي تحاملاً واضحاً، ويؤازره في ذلك تلميذه ابن مكتوم. رأيت ذلك في أكثر من موضوع، ولست أدري سرَّ هذا التحامل، ولولا أنَّني أعلم أنَّ أبا حيَّان كان حرَّ الرّأي تجاه النّحو والنُّحاة وعلى رأسهم سيبويه، لقلت: إنَّه يتعصَّب لسيبويه (ضد) [1] الفخر الرازي لهذا استبعد أن يكون سبب هذا التّحامل هو التعصّب لسيبويه؛ لأنَّ أبا حيَّان أبعد ما يكون من العصبيَّة المذهبيَّة في النّحو –في نظري– وبعد هذا وذاك هل يصحُّ لنا أن نستنتج سرَّ هذه الحملة فنقول: ربَّما كان التنافس في ميدان التّفسير هو السبب المباشر"[2].

2- تباين المعنى بتباين الإعراب:

(1) كذا في الأصل، والصّحيح (على).

(2) سيبويه والقراءات، أحمد مكيّ الأنصاريّ، ص114.

تحَّدث علماء العربية عن تباين المعنى بتابين الإعراب ؛ لأن هذه الظاهرة تضفي على رصد كلِّ بعدٍ لمثل هذه الأشكال ، وإبراز الحوافز التي دفعت العالم للاستعانة بمثل هذه الأشكال والدوافع التي دفعته ؛ لأن يجنِّد كل الإمكانات التي تتيحها اللغة– ولا سيما علم المعاني والبيان والبديع– ليعبِّر بجمال عن معناه فيكون الكلام بليغاً مؤثِّراً في النفوس. إن كان بليغاً ويتفق لفظه ومعناه ويزيد من بلاغته وتزيينه وتقويته بمفردات الأشكال البلاغيَّة لعلم البديع مثلاً؛ فالمعنى الجميل الذي يحمله الشكل البلاغي يدفع إلى دقَّة الفكر والتأمُّل ولطف النظر ونفاذ الخاطر، وتجاوز الجدار الخارجي للنفس والدخول إلى عمق البعد واستنتاج الدلالات الخفيَّة، وهذا هو الهدف الأسمى الذي يركِّز عليه المفسرون، فيجنِّد المتلقي كلَّ حواسه وممتلكاته الثقافيَّة والمعرفيَّة والذوقيَّة والنفسيَّة؛ لتبيان جماليات هذا الشكل البلاغي الذوقي ووظائفه النفسيَّة؛ لأنَّ لكلِّ فن بلاغي انعكاسات جماليَّة وذوقية، ولكلِّ عملٍ أدبي جوانب جماليَّة وأسرار فنيِّة. كما في قوله تبارك : " وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ"[1] فإنَّك إذا قرأت ((والقمر)) بالرّفع أو بالنّصب فإنَّ المعنى مختلف لك واحد منهما؛ وهذا ما يفسر اختلاف عماء العربية في هذا الموضع، ففيه ثلاث مسائل: الأولى يَكُونُ تَقْدِيرُهُ: وَآيَةٌ لَهُمُ الْقَمَرُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَالْقَمَرُ مَرْفُوعًا بِالِابْتِدَاءِ. وذهب الْكُوفِيُّونَ إلى أنه ((وَالْقَمَرَ)) عَلَى إِضْمَارِ فِعْلٍ ؛ لِأَنَّ قَبْلَهُ فِعْلًا وَبَعْدَهُ فِعْلًا، قَبْلَهُ" نَسْلَخُ" وَبَعْدَهُ" قَدَّرْنَاهُ". قَالَ الْفَرَّاءُ: " قوله: الرفع فِيهِ

(1) يس، 39.

أعجب إليّ من النصب، لأنه قال (وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ) ثُمَّ جعل الشمس والقمر مُتبعَين لليل وهما فِي مذهبه آيات مثله. ومن نصب أراد: وقدَّرنا القمر منازلَ، كما فعلنا بالشمس. فردّه عَلَى الْهَاء من الشمس فِي المعنى، لأَنَّهُ أوقع عَلَيْهِ ما أوقعَ عَلَى الشمس. ومثله فِي الكلام: عبد الله يقوم وجاريته يضربها، فالجارية مردودة عَلَى الفعل لا عَلَى الاسم، لذلك نصبناهَا لأن الواو التي فيها للفعل المتأخّر".(1)

وَإِنَّمَا كَانَ الرَّفْعُ عِنْدَهُمْ أَوْلَى، لِأَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى مَا قَبْلَهُ وَمَعْنَاهُ وَآيَةٌ لَهُمُ الْقَمَرُ. قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: "الرَّفْعُ أَوْلَى، لِأَنَّكَ شَغَلْتَ الْفِعْلَ عَنْهُ بِالضَّمِيرِ فَرَفَعْتَهُ بِالِابْتِدَاءِ. وَيُقَالُ: الْقَمَرُ لَيْسَ هُوَ الْمَنَازِلَ فَكَيْفَ قَالَ:" قَدَّرْناهُ مَنازِلَ" فَفِي هَذَا جَوَابَانِ: أَحَدُهُمَا قَدَّرْنَاهُ إذا منازل، مثل:" وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ" ؛ وَالتَّقْدِيرُ الْآخَرُ قَدَّرْنَا لَهُ مَنَازِلَ ثُمَّ حُذِفَتِ اللَّامُ، وَكَانَ حَذْفُهَا حَسَنًا لِتَعَدِّي الْفِعْلِ إِلَى مَفْعُولَيْنِ مِثْلَ" وَاخْتارَ مُوسى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا". (2)

(1) معاني القرآن، ج 2، ص 378.

(2) الجامع لأحكام القرآن، ج 15، ص28.

3- **الذّكر والحذف :**

الذكر والحذف أسلوبان لهما دور في تعظيم الكلام، ويسهمان في ترسيخ مدارك الصّورة التي يقدِّمها المبدع، ويُعَدُّ أسلوب الحذف في العربيَّة لوناً من ألوان بلاغتها، ومزية من مزاياها الأسلوبيَّة: "لأنَّ من شأن العرب الإيجاز، وتقليل الكثير إذا عُرِفَ معناه"(1)، وقد عدَّ ابن جنِّي الحذف من شجاعة العربيَّة(2)؛لأنَّه يشجِّع على الكلام(3)، ويقع الحذف في مستويات الكلام المختلفة ، فهو باب محبَّب للنفوس؛ لما فيه من استعمال جميل للتعبير عن المقصود بحسن وجمال، يضفيه سياق الكلام. وقد حاز الحذف مساحةً واسعةً في الدراسات العربيَّة؛ لما فيه من الدِّقة والتوسع، وما يتضمَّنه من إيحاءات جماليَّة تعمل على تحريك النفس وتحفيزها، وتنشيط الخيال ودفعه للتخلُّص من الملل والرّتابة والسّأم. ويبيَّن الإمام عبد القاهر الجرجاني الأسرار البلاغيَّة التي ينطوي عليها الحذف، وكذلك قيمته في النَّظْم بقوله: "هو بابٌ دقيقٌ المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنَّك ترى به ترك الذّكر، أفصح من الذّكر، والصّمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن"(4).

وقد نصَّ الرازي في تفسيره على كثير من الآيات القرآنيَّة الكريمة،

(1) معاني القرآن، الفرَّاء، جـ1، ص2.

(2) الخصائص، ابن جنِّي، جـ2، ص362.

(3) البرهان في علوم القرآن، جـ3، ص 120.

(4) كتاب دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص104.

وبيَّن ما حذف منها، ثُمَّ أشار إلى لطائفها البلاغيَّة، وما أضفاه هذا الحذف دون الذّكر، فهو يحيل في معرفة سرِّ الحذف إلى النفس وإحساسها ببلاغته وقيمته، وهذه طريقة فذَّة في فهم تراكيب اللغة من هذا العالم الجليل، غير أنها تبقى طريقة قائمة على الذوق لا على الأسس العلمية ، ومن ذلك حديثه عن حذف مفعول المشيئة للبيان بعد الإبهام، نحو قوله تبارك وتعالى: "يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ" [1]، قال الرازي:" إنَّ الله يمحو من الرّزق ويزيد فيه، وكذا القول في الأجل بالسّعادة والشّقاوة والإيمان والكفر "[2]، ومنه أيضاً قوله تبارك وتعالى: "فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ"[3]، تأويلها ولو شاء الله أن يهديكم لهداكم، كذلك قوله تبارك وتعالى: "وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى"[4]، تأويلها:" ولو شاء الله أن يجمعهم على الهدى لجمعهم"[5]، وذلك نحو قوله تبارك وتعالى: "وَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ"[6]، تأويلها: "ولو شاء أن يهديكم أجمعين لهداكم"، ومثله قوله تبارك وتعالى: " لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا" [7] تأويلها: لو نشاء أن نقول مثل هذا لقلنا: "لذا " فالأصل: "لو شاء الله أن يجمعهم على الهدى لجمعهم " "ولو شاء أن يهديكم أجمعين

(1) الرّعد، 39.
(2) التَّفسير الكبير، م7، جـ19، ص51.
(3) الأنعام، 149.
(4) الأنعام، 35.
(5) كتاب دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص116
(6) النّحل، 9.
(7) الأنفال، 31.

لهداكم " إلاَّ أنَّ البلاغة في أن يجاء به كذلك محذوفاً"[1]، ويرى الجرجاني أنَّ حذف مفعول فعل المشيئة حكم مطَّرد مع أداة الشرط غير الجازم" لو"، ويقيس عليه سائر أدوات الشرط الجازمة وغير الجازمة على "لو" في حكمه اللغوي هذا، ويورد شواهد قرآنيَّة كثيرة، منها قوله- تعالى-: "...مَن يَشَأِ اللّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ"[2]. ونجد الرازي يفيد من الجرجاني في تعليقه على الآيات القرآنيَّة الكريمة السّابقة، ففي آية الأنعام يقول: "ولو شاء الله لجمعهم على الهدى " تقديره: ولو شاء الله هداهم لجمعهم على الهدى وحيثما جمعهم على الهدى، وجب أن يقال: إنَّه ما شاء هداهم، وذلك يدلُّ على أنَّه – تعالى- لا يريد الإيمان من الكافر بل يريد إبقاءه على الكفر"[3]، وأيضاً يقول في آية النّحل: "قوله : "وَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ" يدلُّ على أنَّه تعالى ما شاء هداية الكفَّار، وما أراد منهم الإيمان؛ لأنَّ كلمة " لو" تفيد انتفاء شيء لا نتفاء شيء غيره، وقوله: "ولو شاء لهداكم" معناه: لو شاء هدايتكم لهداكم، وذلك يفيد أنَّه –تعالى- ما شاء هدايتهم فلا جرم ما هداهم، وذلك يدلُّ على المقصود"[4]، وكذلك تحدث الرازي عن ذكر مفعول المشيئة الذي يكون فيما يستغرب من الأمور أو يعظم منها، أي في الأمر غير المألوف والعادي؛ وذلك لأنَّه يستحسن ذكر

(1) نظريَّة إعجاز القرآن عند عبد القاهر الجرجاني عن كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، ص116 .

(2) الأنعام، 39.

(3) التَّفسير الكبير، م4، ج12، ص520.

(4) التَّفسير الكبير، م7، ج19، ص178.

مفعول المشيئة، وإثباته إذا ما دلَّ على أمر غريب أو عظيم، لتألفه النفس، ويأنس به القلب، لذا يذكر المفعول به؛ لأنَّ إظهاره يكون أفضل في بعض الحالات؛ وذلك ليتقرَّر في نفس السّامع ويأنس به؛ لغرابته وفرادته في النّوع، ويتضمَّن الذّكر دلالة قويَّة يجعل المذكور يستقرُّ في نفس السّامع؛ ليخدم المعنى ويقرَّه في النفس. كما في قوله –تبارك وتعالى–: "إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً" [1]، فقال الرازي: ففيه وجوه: "... وثانيها: إلاَّ أن يشاء أن يبتليني بمحن الدّنيا فيقطع عني بعض عادات نعمه. وثالثها: إلاَّ أن يشاء ربِّي فأخاف ما تشركون به بأن يحيها ويمكنِّها من ضرّي ونفعي ويقدِّرها على إيصال الخير والشّر إليَّ، واللفظ يحتمل كلَّ هذه الوجوه"[2]. وتابع الرازي بذلك الجرجاني. إذن للحذف تأثيرٌ نفسيٌّ له أفضليّة على الذّكر في بعض المواضع فهو أبلغ من الذّكر كما في قوله تبارك وتعالى: "فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ"[3] قال: " فالمعنى أنَّه –تعالى– لما حكى عنهم اغترارهم بما هم عليه من الجهل بيَّن أنَّه سيجيء يوم يزول فيه ذلك الجهل، ويكشف فيه ذلك الغرور فقال: "فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ"، وفي هذا الكلام حذف، والتّقدير: فكيف صورتهم وحالهم، وتحذف الحال كثيراً مع كيف لدلالته عليها تقول: كنت أكرمه وهو لم يزرني، فكيف لو زارني أي كيف حاله إذا زارني، واعلم أنَّ هذا الحذف يوجب مزيداً من البلاغة

(1) الأنعام، 80.

(2) التَّفسير الكبير، م5، ج13، ص48.

(3) آل عمران، 25.

لما فيه من تحريك النّفس على استحضار كلّ نوعٍ من أنواع الكرامة في قول القائل: لو زارني وكلّ نوعٍ من أنواع العذاب في هذه الآية"[1] لذا فحذف الحال بعد (كيف) من التركيب يرتفع بالمعنى البلاغيّ؛ لأنَّه يتناسب ومقام التّهويل والوعيد الذي دلَّ عليه المعنى، وبه تتّسع دائرة الخيال في رسم تلك الصّورة المروِّعة. ومن هنا يغدو البحث في حذف الكلمات بحثاً في منابع معاني الكلمات، بحثاً في السّمع والبصر والوعي الجمالي الذي يجعلنا نستهوي العبارة المحكمة؛ لأنَّها خلاصة المباحث في علم معاني النّحو الثّانية[2].

4- علاقة الكلمة بالسَّياق :

عُني الدراسون بالكلمة القرآنيَّة الكريمة عنايةً دقيقةً، ودرسوها من جوانب مختلفة، فهم لم يكتفِوا بالبحث في معناها اللغوي، بل تجاوزوا ذلك إلى بيان ما تضفيه، وما تبعثه من إيحاءات، كذلك بحثوا عن علاقة الكلمة بالسِّياق، وما توحي به من دلالة، وتعقَّبوا كذلك استعمالات الكلمة القرآنيَّة الكريمة والمجالات الّتي ترد فيها. وعنوا أيضاً بإبراز الفروق الدّقيقة بين الكلمات الّتي يعتقدون أنَّ معناها واحد؛ ليستدلُّوا من خلالها على مفهومهم للإعجاز القرآنيّ الكريم، ذلك المفهوم التّذوُّقي التّحليليّ ، وغيرها من المسائل التي تتعلَّق بالكلمة القرآنيَّة الكريمة؛ لهذا اهتمَّ الرازيّ بالكلمة القرآنيَّة الكريمة من جانب وضعها

(1) التَّفسير الكبير، م3، جـ7، ص180.

(2) ينظر: النّقد العربيّ نحو نظريَّة ثانية مصطفى ناصف، عالم المعرفة، عدد 255، مارس 2000م، ص26-27.

الملائم لسياقها أي معناها لمعنى الّتي تليها، وعلَّة اختيارها حيث لا يؤدِّي غيرها مؤادَّها، ويبيَّن قيمتها في أداء المعنى، وقد ورد هذا كثيراً في تفسيره الّذي ينعكس من كلِّ دراساته وبحوثه وسنذكر مثالاً منها، يؤدِّي الغرض، ويجلي الفكرة، ومن أمثلته على ذلك كلمة (الرّبّ) الّتي تحمل من المعاني ما يناسب سياقها ويلائمه، ويشير الرازي إلى أنَّ كلمة (الرب) في القرآن الكريم ترد في مقام التّربية والشّفقة، وكلمة (الله) ترد في مقام الألوهيَّة والجبروت، ويردِّد ذلك في مواطن عدَّة من تفسيره، ويمكن لنا أن نقف على بلاغته الذَّوقيّة من خلال نماذج من تفسيره حيث يقول في تفسير قوله تبارك وتعالى: " **وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً....**" [1]: "إنَّه تعالى قال: " **وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ**، ولم يقل: واذكر إلهك ولا سائر الأسماء، وإنَّما سمَّاه في هذا المقام باسم كونه ربَّاً، وأضاف نفسه إليه، وكلُّ ذلك يدلُّ على نهاية الرقّة والتّقريب والفضل والإحسان، والمقصود منه، أن يصير العبد فرحاً مبتهجاً عند سماع هذا الاسم؛ لأنَّ لفظ الرّبّ مشعرٌ بالتّربية والفضل"[2] ؛ إذ يتجلَّى ذوق الرازي البلاغيّ في تفسيره هذه الآية القرآنيَّة الكريمة فيما نقدِّر بذهابه إلى التّفريق بين (الرّبّ) و(الله)، وكذلك يوازن السُّيُوطي بينهما نقلاً عن الطّيبيّ فيقول:"الفرق بين قوله: واعبدوا الله وبين قوله: اعبدوا ربَّكم، أنَّ في الثاني إيجاب العبادة بوساطة النعمة التي بها قوامهم،

(1) الأعراف، 205.

(2) التَّفسير الكبير، م5، ج15، ص442، وينظر: علم المعاني في التَّفسير الكبير لفخر الدين الرازي وأثره في الدّراسات البلاغيَّة، ص150.

وفي اعبدوا إيجاب عبادته لمراعاته– عزَّ وجلَّ – من غير وساطة"[1]؛ وذلك لأنَّ في كلمة (ربّ) التّربية والعناية وهذا موجب للشّفقة والرّحمة.

5–التّقديم والتّأخير:

تُعَدُّ مسألة التّقديم والتّأخير من المسائل البلاغيَّة الّتي تحمل أبعاداً جماليَّة يقبل عليها المتلقِّي، فالمتلقِّي يبحث عن الدواعي التي جعلت المبدع يخرج عن الترتيب الخاصّ للكلام. فهو دافعٌ نحو التفرُّد والتميُّز الإبداعيّ وموهج للإثارة والسيطرة على إعجاب المتلقِّين من خلال الدلالة الرّائعة على حسن التعبير عن المعنى وحريَّة التصرُّف في ترتيب الكلام. فالإمام عبد القاهر الجرجانيّ يولي هذه القيمة أهميَّة كبيرة، كونها معنى من معاني النّحو الّذي يتوخَّاه النَّظْم. وينصُّ على أنَّ تقديم الاسم على الفعل يفيد التّخصيص أو التّأكيد عند بيانه لسبب تقديم الفاعل ، ويجعله الجرجاني من العلاقات النّحويَّة علاقات جمَّاليّة، فيحلِّلها مبرزاً ما في التّركيب من جمال نشأ بسبب هذه العلاقات، قال " إنَّك إذا قدَّمت الاسم فقلت: "زيد فعل" فهذا يفيد من التأكيد والقوّة مالا يفيده قولك: "فعل زيد"؛ وذلك لأنَّ قولك: "زيد فعل" يستعمل في أمرين: أحدهما: أن يكون لتخصيص ذلك الفاعل بذلك الفعل، كقولك: أنا أكتب في المهم الفلاني إلى السلطان، والمراد دعوى الإنسان الانفراد. الثاني: أن لا يكون المقصود ذلك، بل المقصود أنَّ تقديم ذكر المحدث عنه بحديث كذا لإثبات الفعل كقولهم: هو يعطي

(1) معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج2، ص115، وينظر: علم المعاني في التَّفسير الكبير لفخر الدين الرازي وأثره في الدّراسات البلاغيَّة، ص151.

الجزيل، لا يريد الحصر، بل أن يحقِّق عند السامع أنَّ إعطاء الجزيل دأبه ومثله قوله تعالى: "وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ"[1] ليس المراد تخصيص المخلوقيَّة، وقوله تعالى: "وَإِذَا جَآؤُوكُمْ قَالُوَاْ آمَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِ "[2] وقول الشاعر:

هُمَا يَلْبَسَانِ المَجْدَ أَحْسَنَ لِبْسَةٍ شَحِيحَان مَا اسْطَاعَا عَلَيْهِ كِلَاهُمَا

والسّبب في حصول هذا المعنى عند تقديم ذكر المبتدأ أنَّك إذا قلت:عبد الله، فقد أشعرت بأنَّك تريد الإخبار عنه، فيحصل في العقل شوق إلى معرفة ذلك فإذا ذكرت ذلك الخبر قَبِلَهُ العقلُ قبولَ العاشق لمعشوقه، فيكون ذلك أبلغ في التحقيق ونفي الشبهة[3]". فالتقديم في قول الشّاعر السّابق للمسند إليه الضّمير هما على الخبر يلبسان، لينبِّه للأمر ويقوِّي الحكم وليقع ذهن المتلقِّي على المعنى مباشرة وهو عزَّة ممدوحيه. فالشاعر أراد أن ينبِّه لممدوحيه: "ولكنَّه أراد أن يحقِّق الأمر ويؤكِّده فأوقع ذكرها في سمع الّذي كلّم ابتداءً ومن أوَّل الأمر ليعلم قبل هذا الحديث أنَّه أرادها بالحديث فيكون ذلك أبعد له في الشّكّ"[4]، فالتقديم يشدُّ الانتباه لمعرفة ما تريد من معاني تذكرهما بها والتّقديم فيه

(1) النّحل، 20.

(2) المائدة، 61.

(3) التَّفسير الكبير، م2، ج6، ص434، وينظر: الإعجاز البلاغيّ في القرآن دراسة تحليليَّة عند فخر الدّين الرازي، ص297، وعلم المعاني في التَّفسير الكبير لفخر الدين الرازي وأثره في الدّراسات البلاغيَّة، ص243-244.

(4) كتاب دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص95-96.

تأكيد لإثبات الفعل"أنَّه لا يؤتى بالاسم معرَّى من العوامل إلَّا لحديث قد نوى إسناده إليه"[1] ففيه تنبيه للسامع ممَّا يفيد التّشويق الّذي يجعل للمعنى وقعاً أكبر في النَّفس وتقوية للأمر واختصاصاً لهم به.

الخاتمة:

خلص البحث إلى جملة من النتائج نوردها على النحو الآتي

1- هذه الدراسة التطبيقيَّة أخرجت طريقة العلماء التحليلية المبنيَّة على الأحكام الذوقية، وعلى مفهومه الجمالي الذي استخلص من هذه النصوص.

2- وبينت الدراسة منهجهم التذوُّقي المنطلق من الميدان النظريّ إلى الميدان العملي بتطبيقها عمليَّاً ، وإظهار الأمثلة التحليليَّة التي أثبتت دور هذه الأحكام في تنمية التذوُّق النحوي والبلاغي. حيث إن عدداً كثيراً من العلماء رفض التصوُّرات السابقة له التي تفصل بين اللفظ والمعنى وبين الصورة والمحتوى، وحاول إقامة تصوُّر ذوقي جديد يعتمد أساساً للعمليَّة الإبداعيَّة، بحيث لا يحتمل الفصل بين اللفظ والمعنى، أو تفضيل أحدهما على الآخر، فالألفاظ هي وحدات اللغة ولا

(1) كتاب دلائل، الإعجاز في علم المعاني، ص96.

تتفاضل في ذاتها وإنَّما يكون لها الفضل والمزية من حيث دلالتها على المعنى، ومن حيث موقعها من السياق.

3- أثبت العلماء أنَّ جمال الكلمة يظهر من خلال دخولها في تركيب معيَّن؛ أي أنَّ اللفظ المفرد لا يكتسب معناه الفعلي إلَّا مقترناً بغيره من الألفاظ من خلال التركيب النحوي للجملة العربيَّة، وأنَّ المعنى الحقيقي لا يأتي من معنى اللفظ المفرد، ولا من مجموع معاني الألفاظ المكوِّنة للجملة، ولكن المعنى هو شيء آخر جديد يتكوَّن من تلاقي هذه الألفاظ في الجملة، وهذا يعني أنَّ المعنى يتشكَّل من النسق الذي تتكوَّن منه الجملة النحويَّة يأتي منسجماً والنسق المعنوي الذي يتكوَّن في ذهن المتكلِّم حين يتكلَّم أو الكاتب حين يكتب.

4- تُعدُّ الجملة فصيحة بقدر ما يكون فيها من دقَّة وضبط وتناسق. والدقة والضبط والتناسق تشمل التقديم والتأخير، والفصل والوصل، والحذف والإضمار، وما إلى ذلك. أي وضع الكلم المناسب للمعنى المناسب، واتِّساق ذلك كله، وما تقتضيه قواعد النحو.

5- لم تعد الفصاحة راجعة إلى اللفظ بل إلى النَّظْم في سياق الجملة. كما أنَّ البلاغة لم تعد بلاغة الكلمات، وإنَّما بلاغة ذوقية قائمة على وضع الكلام في المواضع التي تقتضيها القواعد النحويَّة. أمَّا بلاغة اللفظ فهي تزيد ذلك النسق جمالاً وبهاءً عندما تأتي متساوقة والنسق اللغوي.

6- أحدثت الأحكام الذوقية تغييراً شاملاً في مفهوم المعنى حين

نقلته من اللفظ إلى المعنى ، وفي مفهوم البلاغة حين نقلتها من الألفاظ إلى التراكيب النحويَّة أيضاً، وهذه العلاقة بين الفصاحة والمعنى في سياق البيان القرآني، هي التي جعلت الإمام عبد القاهر الجرجاني يعد النَّظْم مدار الإعجاز القرآني، وهي نفسها التي جعلت كل من جاء بعده يضبطها ضمن ضوابط منهجيَّة، ويوسِّعها ويعمِّقها، ويضبطون مفاهيمهم اللغويَّة ، ويتوسَّعون فيها ويتعمَّقون فيما يعرف بنظرية السياق والمقام .

7- تعثر الكلمة على قيمتها البلاغيَّة عند انخراطها في سياق الكلام، وذلك بتفاعلها مع ما يسبقها وما يلحقها من خلال تأليف الكلام وانتظامه وتعاقبه حسب انتظام المعاني في النفس، فنظم الكلمات اقتفاء للمعاني وترتيب للألفاظ بحسب ترتيب المعاني في النفس، فالعالم عند تذوقه للنصوص لا يهتمُّ بالمعنى الغفل بل يهتمُّ بالمعنى الذي يستقر في النفس عن طريق نظمه الخاص في رسم صورة المعنى، لا المعنى مجرَّداً من الصورة.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة، للدكتور أحمد مكي الانصاري، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، القاهرة، 1964م.
- الأحكام الذوقية عند الفراء– عرض وتحليل، لفاطمة ناظم العتابي، مجلة الأستاذ، بغداد، العدد: 205، المجلد الأول، عام 2013.
- الإعجاز البلاغي في القرآن دراسة تحليليَّة عند فخر الدّين الرازي عزيز الخطيب، دار قتيبة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1432هـ–2011م.
- إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحَّاس، تحقيق، زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربيَّة، بيروت، لبنان، ط3، 1409هـ–1988م.
- البرهان في علوم القرآن، الإمام بدر الدِّين محمَّد بن عبد الله الزركشيّ، خرَّج حديثه، وقدَّم له، وعلَّق عليه مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والنَّشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ–1988م.
- التَّفسير الكبير المسمَّى بالبحر المحيط، أثير الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف بن علي ابن حيَّان الأندلسي الغرناطي الجياني الشّهير بأبي حيَّان وبهامشه النهر الماد

من البحر وكتاب الدُّر اللقيط من البحر المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1411هـ-1990م.

- التَّفسير الكبير، للإمام الفخر الرازي، طبعة جديدة مصحَّحة، إعداد: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ- 2006م
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق سالم مصطفى البدري، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ-2000م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جنِّي، تحقيق محمد علي النَّجار، ط4، الهيئة المصريَّة العامة للكتاب، دار الشؤون الثَّقافية العامة، بغداد، العراق.
- الدُّر اللقيط، وهو مطبوع بهامش كتاب البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي.
- سيبويه والقراءات دراسة تحليليَّة معياريَّة، تأليف الدّكتور أحمد مكّي الأنصاري، توزيع دار المعارف، بمصر، 1392هـ-1972م.
- علم المعاني في التَّفسير الكبير لفخر الدين الرازي وأثره في الدّراسات البلاغيَّة،
- الكتاب، لسيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 2004.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني، تأليف: الإمام عبد القاهر

الجرجاني، صحَّح أصله علَّامتا المعقول والمنقول، الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده مفتي الدِّيار المصريَّة، والأستاذ اللغوي المحدِّث الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي، ووقف على تصحيح طبعه وعلَّق حواشيه ناشره، السيد محمد رشيد رضا منشىء المنار، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، بميدان الأزهر، ط6، هـ1380-1960م.

- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج أبي إسحق إبراهيم بن السَّري، شرح وتحقيق، عبد الجليل عبده شلبي، خرَّج أحاديثه، علي جمال الدين محمد، دار الحديث، ط2، 1418هـ-1997.
- معاني القرآن، للفراء، تحقيق محمد علي النجار، و أحمد يوصف نجاتي، وعبد الفتاح شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1980 م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السُّيُوطي، تحقيق، علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي.
- نظرية إعجاز القرآن عند عبد القاهر الجرجاني عن كتابيه: أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، بحث مقدَّم من محمد حنيف فقيهي، منشورات المكتبة العصريَّة، صيدا، بيروت، ط1، 1401هـ-1981م.
- النّقد العربيّ نحو نظريَّة ثانية مصطفى ناصف، عالم المعرفة، عدد 255، مارس 2000.